غزوة بَدْر الكُبْرَى

في رمضان سنة ٢ هـ

غزوة بدر الكبرى هي أول معركة حاسمة في تاريخ الإسلام والمسلمين، خاضها المسلمون بعد الهجرة بقيادة رسول الله ﷺ ضد مشركي مكة(١).

فمنذ هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة بإذن ربِّه، ومعه أولئك الذين عرفوا حكمةَ خلْقهم، وعلَّمهم رسولُهم ﷺ ما لم يكونوا يعلمون من أسباب الفلاح والفَوْز في عاجل أمرهم وآجله.

عرف أصحابُه ما يستوجبه ذلك من جهاد صادق موصول لا ينقطع، وقد حفظوا ما وُصف به المؤمنون في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾(٢).

حَفظَ المهاجرون ذلك وصَدَقوا، كما حَفظَ الأَنْصَار ذلك وأفلحوا، فرَضِيَ الله عنهم جميعًا وأرضاهم.

وها نحنُ نراهم في أُخوَّةٍ بارَّةٍ صادقةٍ، لم يعرف التاريخ لها سبيلاً.

نراهم وقد جمع الله شملَهم في المدينة المُنَوَّرَة يستجيبون لله وللرسول في كُلِّ ما يدعوهم إليه، وقد أيْقَنُوا أنهَّم إنما يُدْعَوْنَ لما يُحييهم حياة عزٍّ وكرامة، وتجنبوا ما يُميتُهُم الموتَ الذي لا يقْبَلُه حُرٌّ كريمٌ.

وكان من فقههم لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾(٣) أن أوقفوا أنفسَهم على نُصْرة الحق الذي لا نجاة إلاَّ

(١) أنزل الله في بدر سورةَ الأنفال، وتُسَمَّى «سورةُ بَدْر».
(٢) الحجرات: ١٥.
(٣) الأنفال: ٢٤.

بالوفاء له والرِّضَى به، وهم يسمعون قولَ رسولهم: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».

ولما قال قائل: نصرته مَظْلُومًا، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا؟

قَالَ ﷺ: تَحْجُزُهُ، أو تَمْنَعُهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ.

وذاك هو الحديثُ كما رواه البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَأَيْتَ إِن كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ - أَوْ تَمْنَعُهُ - مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»(١).

أرَأَيْتَ كيف تَحَوَّل العربيُّ الذي كان لا يستجيب لنُصْرة مظلوم إلاَّ في دائرة العصبية الجاهلية التي تَقُودُ صاحبَها إلى نُصْرَة قريبه ولو كان ظالما؟!

حَمِيَّةٌ جاهليةٌ تُسيطرُ على العالم حين يغيبُ الوفاءُ للحَقِّ والقيامُ بالقسط، لكننا - هُنا - في صُحْبة مَن أرْسلَهُ الله رحمة للعالمين.

نرى العربيَّ يتحوَّل هذا التَّحوُّل الذي يُقامُ به أَمْنٌ، ويَسُودُ به سلامٌ، حين يطلب الإجابة من رسول الله ﷺ في أَمْرٍ ذي شأن:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَأَيْتَ - أي أخبرني - إن كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟

فأجابه الرسول ﷺ إجابةً يجب أن تُعرف وتُذْكَر، وأن تَسُودَ دلالتها في تحقيق السَّلام والأمن للعالمين.

«تَحْجُزُهُ - أَوْ تَمْنَعُهُ - مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».

وهل يكون أَمْنٌ بغير ذلك؟!

---

(١) البخاري - كتاب الإكراه، حديث رقم ٦٤٣٨.

وهل يُرى بين الناس سلامٌ والظُّلمُ يَسُودُ ويَقُودُ، ويُغري القوىَّ معه بالبَغي والاستبداد؟!

إنَّ الرسول ﷺ يأمر بنَصْر المظلوم ولو كان من غيرنا، ويأمُرُ بالأخذ على يد الظالم ولَو كَانَ منَّا.

وتلك آياته في كتابٍ عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[١] والآية مَدَنيَّة والسورة مَدَنيَّة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢] والآية مَدَنيَّة والسورة مَدَنيَّة.

ولا يَخْفَى على أحدٍ من الخَلْق كيف أُخرجَ الرسولُ ﷺ من مَكَّة المُكَرَّمة وهو يقول فيما قال عن مكة: «ما أطيبك من بلدة وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك»[٣].

ونعرف ما لَقيَه أصحابُه من عَنَت وظُلم وجَوْر، حتَّى هاجروا إلى الحبشة وانتهى أمرُهم بالهجرة إلى المدينة، حتَّى جاء الإذن من الله لهم بأنْ يرُدُّوا عن أنفسهم، وأنْ يجاهدوا في سبيل إرضاء خالقهم الذي ناداهم بأن يكونوا قوامين بالقسط شهداءَ لله، وناداهم بأن يكونوا قَوَّامين لله شهداء بالقسط.

---

(١) النساء: ١٣٥

(٢) المائدة: ٨

(٣) صحيح ابن حبان ٩/٢٣، حديث رقم ٣٧٠٩،

ونهاهم - وهم يقومون بذلك - أنْ يحملهم العداءُ من غيرهم - مهما بلغ - أنْ يحيدوا عمَّا أُمروا به من القيام بالقسط والوفاء بالعهد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

على ضوء ذلك وفي نُوره نتدبَّرُ ما كان في الوقائع والأحداث، ونرى ما أُنزل فيها من آيات لتكون خطاباً وعظَةً وعِبْرَةً وبلاغاً للعالمين؛ لأنها - كما قلتُ كثيرًا - ليست أحداثاً تاريخية مَضَتْ وانْقَضَتْ، وليست وقائعَ تُذْكَرُ في مكان أو زمان فحسب.

وإنما هي وقائع يُرى - في صميمها - رسولُ السماء، الرُّوح الأمين، جبريل عليه السلام، يُرَى يتنزَّل أكثر مما يتنزَّل مع الوقائع بوحي ربِّه وإذنه؛ ليقترن تدبُّر الآيات بوقوع ما يصدقُها من وقائع وأحداث؛ وليُعلم أنَّ آيات القرآن الكريم ليست بمعْزَل عن واقع، وأنَّ تدبّرها مُيَسَّرٌ لمَنْ آثرَ الحقّ وابتغاه، وأنَابَ مُخْلصاً إلى الله واتَّقاه.

*****

إنَّ غزوة بَدْر ليست أولى الوقائع بعد الإذن من الله بما أذن به في قوله:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٢).

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) الحج: ٣٩ - ٤١.

والآيات مَدَنِيَّة في سورة مَدَنِيَّة، وهي سورة الحج الذي فُرِضَ - حين فُرِضَ - والمسلمون مع رسول الله ﷺ في المدينة المُنَوَّرَة.

وإذن فغزوة بَدْر - التي نحن بصددها - ليست أُولى الوقائع، وإنْ كانت من أكبرها وأعظمها، وليست وحدَها التي حَظيت بوحي الله يتنَزَّل به الرُّوح الأمين.

بلْ إنَّ جبريلَ - في سماء المدينة - يتَنَزَّلُ بأمر ربِّه مرَّات ومرَّات؛ ليعرف الناسُ أنَّ أحداث الأرض ليست بمَعْزَل عن وحْي السماء.

ففي لحظات ولمحات يُبَلَّغ الوحي، وتُرى الإجابة والاستجابة والسَّمْعُ والطاعة ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[1].

والآيتان مدنيتان في سورة مَدَنِيَّة.

الغزوات والسرايا قبل بدر:

لقد سُبِقَت غزوةُ بَدْر بما سُبِقَتْ به من تنظيم شئون المدينة وإعدادها لتكون عاصمة الإسلام وقلبَه النابض، وقد بارك الله فيها، وبارك في كُلِّ شيء يتَّصلُ بها.

وقد آنَ لنا أن نراها وقد اكتمل شأنُها في حديث القرآن وفي بيان الرسول ﷺ بعيدًا عن قيل وقال؛ لأنها قُدسيَّةٌ ومُسلِمَةٌ، وذاك من أسمائها: المُسْلِمَةُ، والقُدْسيَّةُ، والعاصمةُ، والمخْتَارَةُ.

وكُلُّ ذلك وغيرُه، يدعونا أنْ نحفظها بحفظ القرآن، وأن نتحدثَ عنها بما صَحَّ عن الرسول ﷺ من بيان.

---

(١) النور: ٥١، ٥٢.

وذلك ما قَصَدْتُه حين عَزَمْتُ أنْ أكتُبَ عن المدينة المُنَوَّرَة.. وقائعُها وفضائلُها في حديث القرآن الكريم وبيان السُّنَّة المُطَهَّرَة.

أمَّا ما وقع قبل غزوة بَدْر الكُبْرَى من وقائع في مغازي الرسول ﷺ وبُعوثه، فهي:

١ - **سَرِيَّة سيف البحر:** كان أوَّل لواء عقده الرسول ﷺ لحمزة بن عبدالمطلب في شهر رمضان، على رأس سبعة أشهر من هجرته.

بعثه الرسول ﷺ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين خاصة؛ يعترض عيرًا لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاث مئة رجل، فبلغوا سِيْفَ البحر[١] من ناحية العيص[٢] فالْتَقَوْا واصطفُّوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجُهني - وكان حليفًا للفريقين جميعاً - بين هؤلاء وهؤلاء حتَّى حَجَزَ بينهم فلم يقتتلوا.

٢ - **سَرِيَّة رابغ:** ثُمَّ بعث الرسول ﷺ عبيدةَ بن الحارث بن المطلب في سَرِيَّة إلى بطن رابغ[٣] في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، وكانوا في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري.

فلقي أبا سفيان بن حرب وهو في مائتين على بطن رابغ، وكان بينهم الرَّمْيُ، ولم يَسُلُّوا السيوف، ولم يصطفُّوا للقتال، وكان سعدُ بن أبي وقاص فيهم، وهو أول من رَمَى بسهم في سبيل الله، ثُمَّ انصرف الفريقان.

٣ - **سَرِيَّة الخرَّار:** ثُمَّ بعث رسول الله ﷺ سعدَ بن أبي وقاص إلى الخرَّار[٤] في ذي القعدة، على رأس تسعة أشهر في عشرين راكبًا، يعترضون عيرًا لقريش، وعَهِدَ أن لا يُجاوزوا الخَرَّار، فخرجوا على أقدامهم فكانوا يكمنُون بالنهار، ويسيرون بالليل، حتَّى صبحوا المكان صبيحة خمس، فوجدوا العِيرَ قد مرَّت.

---

(١) سيف البحر: شَطُّه وما كان عليه من المدن.
(٢) العيص: مكان بين ينبع والمروة من ناحية البحر الأحمر.
(٣) بطن رابغ: واد من الجحفة على عشرة أميال منها.
(٤) الخرَّار: موضع قُرب الجُحْفَة.

٤ - **غزوة الأبواء (ودّان)**: ثُمَّ غزا الرسولُ ﷺ غزوةَ الأبواء، ويُقال لها ودَّان[١] وهي أول غزوة غزاها بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مُهَاجَرِه.

وحمل لواءه حمزةُ بن عبدالمطلب، واستخلف على المدينة سعدَ بن عباده، وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عِيرًا لقريش، فلم يَلْقَ كَيْداً.

وفي هذه الغزوة وادَعَ[٢] عمرو بن مَخْشِيَّ الضَّمْرِي - وكان سيِّد بني ضَمْرة في زمانه - على ألا يَغْزُو بني ضَمْرة ولا يغزوه، ولا أن يُكثِّروا عليه جَمْعًا، ولا يُعينوا عليه عَدوًّا، وكتب بينه وبينهم كتاباً، وكانت غيبتُه خمس عشرةَ ليلة.

٥ - **غزوة بواط**: ثُمَّ غزا رسولُ الله ﷺ بُواطَ[٣] في شهر ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهراً من مَهَاجَرِه، وحمل لواءه سعدُ بنُ أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعدَ بن مُعَاذ، وخرج في مائتين من أصحابه، يعترض عِيرًا لقريش فيها أُميَّةُ بنُ خلف الجُمحَى، ومئة رجل من قريش وألفان وخمس مئة بعير، فبلغ بُواطاً، فلم يَلْقَ كَيْداً فرجع.

٦ - **غزوة سفوان**: ثُمَّ خرج ﷺ على رأس ثلاثة عشر شهراً من مُهَاجَرِه يَطلب كُرْز بن جابر الفهري، وحمل لواءه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة.

وكان كُرزُ قد أغار على مسرح المدينة فاستَاقَهُ، وكان يرعَى بالحِمى، فطلبه رسولُ الله ﷺ حتَّى بلغ وادياً يُقَال له «سَفَوَان» من ناحية بَدْر، وفاته كُرز ولم يلحقه، فرجع إلى المدينة.

---

(١) ودَّان: موضع بين مكة والمدينة وبين رابغ مما يلي المدينة تسعة وعشرون ميلاً، والأبواء موضع بالقرب من ودان.

(٢) وادَعَ: أي صالَحَ.

(٣) بُواط: جبل من جبال جهينة بناحية رضوى.

٧ - **غزوة ذي العشيرة:** ثُمَّ خرج رسولُ الله ﷺ في جُمَادي الآخرة على رأس ستة عشر شهراً، وحمل لواءَه حمزةُ بن عبدالمطلب، واستخلف على المدينة أبا سَلَمَة بن عبدالأسد المخزومي، وخرج في خمسين ومئة، ويُقال: في مائتين من المهاجرين، ولم يُكره أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها[١] يعترضون عِيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، وقد كان جاءه الخبرُ بفُصُولها[٢] من مكة - فيها أموالٌ لقريش.

فبلغ ذا العُشَيرَة[٣] فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العيرُ التي خرج في طلبها حين رجَعَتْ من الشام فصارت سبباً لغزوة بدر الكبرى.

٨ - **سَرِيَّة نخلة:** ثُمَّ بعث الرسولُ ﷺ عبدَ الله بن جحش الأسدي إلى نخلةَ في رجب، على رأس سبعةَ عشرَ شهراً من الهجرة، في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كُلُّ اثنين يعتقبان على بعير، فوصلوا إلى بطن نخلة، يرصدون عِيراً لقُريش، وفي هذه السَّرِيَّه سمَّى عبدالله بن جحش «أميرَ المؤمنين» وكان رسول الله ﷺ كتب له كتابًا، وأمَرَه أن لا ينظُر فيه حتَّى يسيرَ يومين، ثُمَّ ينظر فيه.

ولما فتح الكتابَ وجد فيه: «إذا نظرتَ في كتابي هذا، فَامْضِ حتَّى تنزلَ نَخْلَةَ بين مكة والطائف، فَتَرصُدَ بها قريشاً، وتَعْلَم لنا من أخْبارِهم».

فقال: سَمْعاً وطاعةً.

وأخْبَرَ أصحابَه بذلك، وأنَّه لا يَستكْرِههم، فمَنْ أحبَّ الشهادة فَلْيَنْهَضْ، ومن كَرِه الموتَ فليرجِعْ، وأما أنا فَنَاهض.

---

(١) يعتقبونها: أي يخلف بعضُهم بعضاً في ركوبها.
(٢) بفُصُولها: أي بخروجها.
(٣) وقيل: العُشيرَاءُ بالمدِّ، وهي بناحية ينبع.

فَمَضَوْا كُلُّهُم، فلمَّا كان في أثناء الطريق، أضَلَّ سعدُ بن أبي وقاص، وعُتبةُ بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا في طَلَبه.

وَبَعُدَ عبدالله بنُ جَحْشٍ حتَّى نزل بنخلة، فَمرَّت به عِيرٌ لقريش تحمل ذَبيباً وأَدَماً وتجارةً فيها عمرو بن الحَضْرَمِيّ، وعثمان ونوفل، ابنا عبدالله بن المغيرة، والحَكَمُ بن كيسان، مولى بني المغيرة، فتشاور المسلمون وقالوا:

نحن في آخر يوم من رجب الشهر المحرم، فإنْ قاتلناهم انتهكنَا الشهرَ الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحَرَم.

ثم أجمعوا على مُلاَقاتهم، فرمى أحدُهم عمروَ بن الحضرمي فقتله، وأسَرُوا عثمانَ والحكم، وأفْلَتَ نوفل.

ثُمَّ قدموا بالعير والأَسيرَيْن، وهو أول خُمُس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرَيْن في الإسلام.

وأنكر رسولُ الله ﷺ عليهم ما فعلوا.

واشتد تعنُّت قريش وإنكارُهم ذلك، وزعموا أنهم وجدوا مَقَالاً، فقالوا: قد أحَلَّ محمدٌ الشهرَ الحرام!

واشتدَّ على المسلمين ذلك، حتَّى أنزل الله عز وجل:

﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[1] وهي مَدَنِيَّة.

يقول سبحانه: هذا الذي أنكرتموه عليهم - وإنْ كان كبيراً - فما ارتكبتموه أنتم من الكُفْر بالله، والصَّدِّ عن سبيله وعن بيتِه، وإخراجِ المسلمين الذين هم

(١) البقرة: ٢١٧.

أهلُه منه، والشركِ الذي أنتم عليه، والفتنة التي حصلت منكم به، أكبرُ عند الله من قتالهم في الشهر الحرام.

سبب الغزوة:

ولما كان في رمضان من هذه السَّنَة بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُ العير المُقبلة من الشام لقريش صُحبةَ أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لَمَّا خرجت من مكة، وفيها أموالٌ عظيمة لقريش(١).

فندب رسولُ الله ﷺ الناسَ للخروج إليها، وأمر مَنْ كان ظَهْرُه حاضراً بالنهوض، ولم يحتَفِل لها احتفالاً بليغاً؛ لأنه خرج مُسرعاً في ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلاَّ فرسان: فَرَسٌ للزبير بن العوَّام، وفَرَسٌ للمقداد بن الأسود الكِنْدي، وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد.

جاء في مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود قَالَ:

«كُنَّا يَوْمَ بَدْر كُلُّ ثَلاثَة عَلَى بَعِيرٍ - أي يتعاقبون - كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَقَالا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ. فَقَالَ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلاَ أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا»(٢).

الرسول ﷺ يستشير أصحابَه:

وسار رسول الله ﷺ إلى بَدْر(٣) وكان قد بلغه خروجُ قريش، فاستشار أصحابه، فتكلَّم المهاجرون، فأحسَنوا، ثُمَّ استشارهم ثانياً، فتكلَّم المهاجرون، ثُمَّ استشارهم ثالثاً، ففهمت الأنْصَار أنَّه يَعْنيهم.

---

(١) كانت العير مركبة من ثروات طائلة من أهل مكة ألف بعير موقرة بالأموال لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهب، ولم يكن معها من الحرس إلا نحو أربعين رجلاً.

(٢) أحمد - مسند المكثرين من الصحابة، حديث رقم ٣٧٠٦، ٣٧٦٩، ٣٨٠٧،

(٣) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء.

فبادر سعدُ بن مُعَاذ فقال: يا رسول الله، كأنك تُعَرِّضُ بنا؟

وكان إنَّما يَعْنيهم؛ لأنهم بايعوه على أنْ يَمْنَعُوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلمَّا عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم.

فقال له سعدٌ: لعلَّك تَخْشَى أنْ تكون الأنْصَار ترى حَقّاً عليها ألا ينصُروك إلاَّ في ديارها؟! وإنِّي أقولُ عن الأنْصَار، وأُجيب عنهم:

فاظْعَنْ حيث شئْتَ، وصِلْ حَبْلَ مَنْ شئْتَ، واقْطَعْ حَبْلَ من شئْتَ، وخُذْ من أموالنا ما شئْتَ، وما أخَذْتَ منَّا كانَ أحبَّ إلينا ممَّا تركْتَ، وما أمَرْتَ فيه من أَمْرٍ فأمرُنا تَبَعٌ لأمْرك، فوالله، لئن سرْتَ حتَّى تَبْلغُ البَرْكَ مِنْ غمدَان، لَنَسيرَنَّ مَعك، ووالله لو استَعْرَضْتَ بنا هذا البحر خُضْنَاه معك.

وقال له المقدادُ:

لا نقول لك كما قال قومُ موسى لموسى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[1] ولكنا نُقاتل عن يمينك، وعن شمالِك، ومن بين يديك، ومن خلفِك.

فأشْرَقَ وجْهُ رسول الله ﷺ وسُرَّ بما سمع من أصحابه، وقال:

«سيروا، وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطَّائفتين، وإني قد رأيت مصارعَ القوم»

أخرج البخاري من حديث ابْنَ مَسْعُودٍ قال:

«شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَداً لأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا**﴾ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ، وَسَرَّهُ قَوْلُهُ»[2].

---

(١) المائدة: ٢٤ .

(٢) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٦٥٨.

أبو سفيان يُنقذ العير:

أما أبو سفيان فقد لحَقَ بساحل البحر، ولَّما رأى أنَّه قد نجا وأحْرَزَ العير كتب إلى قريش: أن ارجعوا فإنكم إنمَّا خرجْتُم لِتُحْرِزوا عِيرَكم.

فأتاهم الخبرُ وهم بالجحفة[١] فَهَمُّوا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتَّى نَقْدُمَ بدراً، فنُقيم بها، ونُطْعِمَ مَنْ حَضَرَنا من العرب، وَتخَافُنَا العربُ بعد ذلك.

فأشَار الأخْنَسُ بن شُريق عليهم بالرجوع، فَعَصَوْهُ، فرجع هو وبنو زُهرة، فلم يَشْهد بَدْراً زُهريٌّ، فاغتبطت بنو زُهْرَةُ بَعْدُ برأي الأخْنَس، فلمْ يزَلْ فيهم مُطَاعاً مُعَظَّماً.

وأرادت بنو هاشم الرُّجُوع، فاشتدَّ عليهم أبو جهل، وقال: لا تفارقُنا هذه العصابة حتَّى نرجعَ.

الرسول ﷺ يناشد ربَّه:

فساروا، وسَار رسولُ الله ﷺ حتَّى نزل عشيّاً أدنى ماء من مياه بَدْر، فقال ﷺ: أشِيرُوا عَلَيَّ في المَنْزِل.

فقال الحُبَابُ بن المنذر: يا رسول الله، أنا عَالِمٌ بها وبِقُلُبِهَا[٢] إنْ رأيتَ أنْ نَسيرَ إلى قُلُبٍ قد عَرَفنَاها، فهي كثيرة الماء عَذْبة، فننزل عليها، ونَسْبِقَ القومَ إليها، ونُغَوِّر ما سواها من الماء.

فلمَّا طلع المشركون وتراءى الجَمْعَان، قال رسول الله ﷺ:

اللهم هذه قريشٌ جاءت بِخُيَلاَئها وَفخْرها، جاءت تحَادُّكَ وتكذِّبُ رسولك

وقام ورفع يديه، واستَنْصَرَ ربَّه، وقال:

---

(١) الجُحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة.

(٢) قُلُب: جمع قليب وهو البئر.

اللهم أنْجِزْ لي مَا وَعَدتَني، اللهم إنِّي أَنشُدُك عهدَك ووعدَك.

فالتزمه[١] الصِّديقُ من ورائه، وقال:

«يا رسول الله، أَبْشِر؛ فَوَالَّذي نفسي بيده، لَيُنْجِزَنَّ اللهُ لَكَ مَا وَعَدَك».

وأخرج البخاريُّ من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِي اللَّه عَنْهمَا - قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ».

فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[٢].

واسْتَنْصَرَ المسلمون اللهَ، وأخْلَصُوا له، وتضرعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[٣].

وأوحى الله تعالى إلى رسوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٤].

وبات رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي إلى جذع شجرة هناك، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة.

لَمَّا تَراءَى الجمعان:

لَمَّا أصبح المسلمون أقبلت قريش في كتائبها، واصطفَّ الفريقان، فمشى حكيم بن حزام، وعتبةُ ابن أبي ربيعة في قريش أنْ يرجعوا ولا يُقاتلوا، فأبى ذلك أبو جهل، وجرى بينه وبين عتبة كلامٌ، وأمَرَ أبو جهل أخا عمرو بن

---

(١) التزمه: أي ضمَّه إليه.

(٢) البخاري - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٦٩٩، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٤٩٩. والآية من سورة القمر رقم ٤٥.

(٣) الأنفال: ١٢.

(٤) الأنفال: ٩.

الحضرمي أنْ يطلبَ دَمَ أخيه عمرو، فكشف عن إسْتِه[١] وصرخ: واعمراه، فحمى القوم ونَشَبت الحرب.

وعدَّل رسول الله ﷺ الصفوفَ، ثُمَّ رجع إلى العريش[٢] هو وأبو بكر خاصَّة.

وقام سعدُ بن مُعَاذ في قوم من الأنْصَار على باب العريش يَحْمُونَ رسول الله ﷺ وخرج عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة، والوليد بن عُتبة يطلبون المبارزة، فخرج إليهم ثلاثةٌ من الأنْصَار: عبدُ الله بن رواحة، وعوفٌ، ومعوِّذٌ ابنا عفراء فقالوا لهم: من أنتم؟

فقالوا: من الأنْصَار.

قالوا: أكْفَاءٌ كِرَامٌ. وإنمَّا نُريد بني عَمِّنَا

فبرز إليهم عليٌّ، وعبيدةُ بن الحارث، وحمزةُ.

فَقَتَل عَلِيٌّ قِرْنَه الوليد، وقتل حمزةُ قِرْنه عُتبة، وقيل: شيبة، واختلف عبيدةُ وقِرْنُه ضربتين، فكرَّ عليٌّ وحمزةُ على قِرْن عبيدة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قُطِعَت رجلُه، فلم يَزَل ضَمِناً[٣] حتَّى مَاتَ بالصَّفْراء.

اشتداد القتال ونزول الملائكة:

ثم حمى الوطيسُ، واستدارت رحى الحرب، واشتدَّ القتالُ، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال ومناشدة ربِّه عز وجل حتَّى سقط رداؤُه عن منكبيه، فردَّهُ عليه الصِّديق، وقال: «بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ ربَّك، فإنّه مُنْجِزٌ لك ما وعدك».

---

(١) الإست: الدُّبُر.
(٢) العريش: ما يُسْتَظَلُّ به.
(٣) ضَمِناً: أي مُبْتَلى.

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً واحدة، وأخذ القومَ النعاسُ في حالة الحرب ثُمَّ رفع رسولُ الله ﷺ رأسَهُ فقال: «أبْشِرْ يا أبا بكر، هذا جبريلُ على ثناياه النَّقْع»(١).

وجَاءَ النَّصْرُ، وأنزل الله جُنْدَهُ، وأيَّد رسولَه والمؤمنين، ومَنَحَهُم أكتافَ المشركين أسراً وقَتْلاً، فقَتَلُوا منهم سبعين، وأسَرُوا سبعين.

وكانت الملائكةُ - يومئذٍ - تُبادر المسلمين إلى قَتْل أعدائهم.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ - رضيَ الله عنهما -:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَخَرَّ مُسْتَلْقِياً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ(٢) أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: صَدَقْتَ. ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»(٣).

وأخرج الإمام أحمد من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه قال:

جاء رجل من الأنْصَار بالعبَّاس بن عبدالمطلب أسيراً، فقال العبَّاسُ: إنَّ هَذَا - وَاللَّهِ - مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ(٤) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ(٥) مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللَّهُ تعالى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ»(٦).

---

(١) النَّقْع: الغبار.
(٢) خُطِمَ أنفه: أُصيب وأُوذي.
(٣) مسلم - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٠٩.
(٤) الأجلح: الذي انحسر الشعر عن مقدم راسه.
(٥) البَلَق: سواد وبياض.
(٦) أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث رقم ٩٠٤، مجمع الزوائد ٧٦/٦.

وَأسَرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ثلاثة: العَبَّاس، وعَقِيل، وَنَوْفَل بْنَ الحَارِثِ.

استفتاح أبي جهل ومَصْرعُه:

وفي هذا اليوم - يوم بَدْر - استَفْتَحَ[١] أبو جهل، فقال: اللهم أَقْطَعنا للرَّحم، وآتانا بما لا نَعْرفه، فأحِنْهُ الغداة[٢] اللهمَّ أيُّنا كان أحبَّ إليك، وأرضى عندك، فانْصُرْه اليوم.

فأنزل الله عز وجل: ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣].

ولمَّا بردت الحربُ وولَّى القومُ منهزمين، قال رسول الله ﷺ: مَنْ ينْظُرُ لنا ما صَنع أبو جهل؟

فانطلق ابنُ مسعود. فوجَدَه قد ضَرَبَهُ ابنا عفراء حتَّى بَرَد، فأخذ بلحيته، فقال: أنت أبو جهل؟

فقال: لِمَن الدائرةُ اليوم؟

فقال: لله ولرسوله، وهل أخزاك اللهُ يا عدوَّ الله؟

فقال: وهل فوق رجُلٍ قتله قومُه؟[٤].

فقتله عبدُ الله، ثُمَّ أتى النبيَّ ﷺ فقال: قَتَلْتُه، فقال: «الله لا إله إلاَّ هو» فردَّدَها ثلاثا، ثُمَّ قال: «الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعْدَه، ونَصَرَ عبدَه، وهزَمَ الأحزابَ وحده» انطلق أَرِنيه، فانطلقنا فأريتُه إيَّاه، فقال: هذا فرعون هذه الأمة.

---

(١) الاستفتاح: الاستنصار، واسْتَفْتَحَ الفَتْحَ: سأله.

(٢) الحَيْن: الهلاك.

(٣) الأنفال: ١٩ .

(٤) أي ليس عليَّ عار، فلن أبعد أن أكون رجلاً قتله قومه.

النبي ﷺ ينادي قتلى بدر من المشركين:

أخرج مسلم من حديث أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْر ثَلاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْل بْنَ هِشَام، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَف، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا».

فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، كَيْفَ يَسْمَعُوا، وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا[1]؟! قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا)[2].

وعَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّه «أَمَرَ يَوْمَ بَدْر بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْش، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ[3] مِنْ أَطْوَاءِ بَدْر، خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ».

فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِه فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلاَّ لِبَعْضِ حَاجَتِه، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ[4] فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فُلانَ بْنَ فُلانٍ فُلان، ويَا فُلانَ بْنَ فُلانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟!

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللَّه، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لا أَرْوَاحَ لَهَا!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ. قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ؛ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا»[5].

---

(١) جَيَّفُوا: أي أنْتَنُوا.

(٢) مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم ٥١٢١.

(٣) الطَّوِيُّ: البِئْرُ المَطْوِيَّة بالحجارة.

(٤) الرَّكِيُّ: جِنْسٌ للرَّكِيَّة وهي البِئْر.

(٥) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٦٧٩.

الرحيل والدخول إلى المدينة:

بعد النصر المبين أقام رسولُ الله ﷺ بالعَرْصَة[١] ثلاثاً - وكانت تلك عادتُه إذا ظَهَر على قومٍ أقام بعرصتهم ثلاثًا - ثُمَّ ارْتَحَلَ مُؤَيَّداً مَنْصُوراً قَريرَ العين بنَصْر الله له، ومعه الأسارى والمَغَانِم.

فلمَّا كان بالصَّفراء قَسَّم الغنائم، وضربَ عُنُق النَّضر بن الحارث بن كلدة، ثُمَّ لمَّا نزل بعِرْق الظَّبية[٢] ضرب عنق عقبةَ بن أبي مُعَيْط

ودخل النبي ﷺ المدينةَ مؤيَّداً مُظَفَّراً منصوراً، قد خافه كلُّ عدوٍّ له بالمدينة وما حولها.

فأَسْلَمَ بشرٌ كثيرٌ من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبدُ الله بن أُبَيٍّ المنافقُ وأصحابُه في الإسلام ظاهِراً.

القتلى من الفريقين:

هذا وجملة من حضر بدراً من المسلمين ثلاث مئة وبضعة عشر رجُلاً، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أَحَدٌ وستون، ومن الخزرج مئة وسبعون.

وإنمَّا قَلَّ عددُ الأوس عن الخزرج - وإنْ كانوا أشدَّ منهم وأقوى شوكَةً وأصبر عند اللقاء - لأنَّ منازلهم كانت في عوالي المدينة، وجاء النفيرُ بَغْتَةً.

وقال النبيُّ ﷺ: «لا يَتْبَعْنَا إلاَّ من كَانَ ظَهْرُه حاضِراً».

فاستأذنه رجالٌ - ظهورُهم في عُلْو المدينة - أن يستأني بهم حتَّى يذهبوا إلى ظُهورهم، فأبى ﷺ.

---

(١) العَرْصَة: البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها.

(٢) عرق الظبية: موضع بين مكة والمدينة قُرْبَ الروحاء، وقيل: هي الروحاء نفسها.

ولم يكن عَـزْمُـهم على اللِّقـاء، ولا أَعـدُّوا لـه عُـدَّته، ولا تأهَّبُـوا لـه أُهْـبَتَـه، ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

واستشهد من المسلمين - يومئذ - أربعة عشر رجلا: ستةٌ من المهاجرين، وستةٌ من الخزرج، واثنان من الأوس.

وقد فرغ رسولُ الله ﷺ من شأنِ بَدْر والأسارى في شوال.

وقد أنزل الله عز وجل في غزوة بَدْر سورةَ الأنفال، وتُسَمَّى «سورةُ بَدْر».

من دلائل النبوة في غزوة بدر:

لقد كشفت لنا غزوة بدر - بوقائعها - عن كثير من دلائل النُّبُوَّة، ممَّا يجب أن يُذَكَّر به الإنسـانُ؛ ليعـرف - دائماً - قَـدْرَ الرسـالة والرسـول، وأنَّ الرُّسُلَ لا يقولون شيئاً من عند أنفسهم، بل هو الوحي الذي اختصَّهم الله به، يُخبـرون عن أَمْرٍ فَتَرَاهُ واقعاً أمام عينك.

وما حدَّث الرُّسلُ بشيءٍ ورأى النَّاسُ ما يخالفُهُ أو يناقضُهُ.

لقـد حدَّث الرسـولُ ﷺ عن ناس من الكفـار يُصْـرعون في يوم بَدْر، ذكرَهم بأسمـائهم، وحدَّد موضعَ هلاكهم، فكان ما حدَّثَ وأخبرَ عنه واقعاً أمام النـاس تُرى فيه دلائل النُّبُوَّة، وأنَّ النبيَّ ﷺ كما أخبرَ الله عنه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[1].

روى البخاريُّ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذ أَنَّهُ قَالَ:

«كَانَ صَدِيقًـا لأُمَيَّةَ بْنِ خَلَف، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْد، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ؛ لَعَلِّي أَنْ

(١) النجم: ٣، ٤.

أَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا سَعْدٌ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ؟! أَمَا - وَاللَّهِ - لَوْلا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا.

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ - وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ -: أَمَا وَاللَّهِ، لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي

فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ؛ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ.

قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لا أَدْرِي. فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا.

فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لا أَدْرِي.

فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللَّهِ لا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ، فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ - وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي - تَخَلَّفُوا مَعَكَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللَّهِ لأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، جَهِّزِينِي.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلاَّ قَرِيبًا فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لا يَنْزِلُ مَنْزِلاً إِلاَّ عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عز وجل بِبَدْرٍ»[1].

---

(١) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٦٥٦.

وفي رواية مثله إلاَّ أن فيه: «فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْد: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ، فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ.

قَالَ: إِيَّايَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ.

فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِه، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّه سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْر، وَجَاءَ الصَّرِيخُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لا يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ. فَسَارَ مَعَهُمْ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ»[1].

وأخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

«كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهِلالَ، وَكُنْتُ رَجُلاً حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لا يَرَاهُ.

قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْر فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْر بِالأَمْسِ، يَقُولُ: هَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى

(١) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٣٦٠.

انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا فُلانِ بْنَ فُلانٍ، وَيَا فُلانِ بْنَ فُلانٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؛ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا؟

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لا أَرْوَاحَ فِيهَا؟! قَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا»(١).

وأخرج البخاري ومسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ»(٢).

ما نزل فيمن عاونوا أبا سفيان:

إنَّ غزوة بَدْر بوقائعها ونتائجها - وَقد حُفِظَ ما أنزلَ اللهُ فيها، كما حُفِظَ الذكرُ كلُّه - ستظَلُّ قائمةً أمام أعْين الناس تُرِيهم ما يجب أنْ يركنوا إليه، وتُحذّرهم من الرُّكون إلى أهل الظلم والفساد، وهم يَرَوْنَ أنَّ سُنَنَ الله في مداولة الأيام بين الناس لا تُبقى على باغ أو مستبد.

فإنَّ الظالمين - وهم يُصرُّون على ظلمهم - لنْ يُفْلتُوا من عقاب، ولن يَفرُّوا من الإحاطة بهم وأخذهم بذنوبهم

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾(٣).

قال ابنُ إسحاق: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(٤).

---

(١) البخاري - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم ٥١٢٠.
(٢) البخاري - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٨٣٧، كتاب المغازي، حديث رقم ٣٦٧٩.
(٣) هود: ١١٣.
(٤) الأنفال: ٣٦.

يعني النَّفَرَ الذين مَشَوْا إلى أبي سفيان، وإلى مَنْ كان له مالٌ من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أن يُقَوِّهم بها على حرب رسول الله ﷺ ففعلوا.

ثُمَّ قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ**﴾[1] أي من قُتِلَ منهم يوم بَدْر.

عميرُ بن وهب يسعى لقتل النبي ﷺ:

إن النصرُ من الله للمؤمنين كان له أثرُه في إقبال من أقبَلَ دخولاً في الإسلام.. وقع ذلك في المدينة وما حَوْلها، كما كان له أثرُه في نفوس مَنْ يكيدون أو تضيق صدورُهم بنَصْر الله للمؤمنين.

لكننا نقفُ من هذه النتائج على ما كان عند مَنْ خذلهم الله وهم يندبُون قتلاهم.

لقد رأَيْنَا منهم التحريضَ على قَتْل الرسول ﷺ.

ذكر ابن إسحاق قال: حدثني محمدُ بنُ جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، قال: جلس عميرُ بن وهب الجُمحي مع صفوان ابن أُميَّة بعد - مُصاب أهل بَدْر من قريش - في الحجر بيَسير.

وكان «عميرُ بن وهب» شيطَاناً من شياطين قريش، وممَّن كان يُؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، ويَلْقَوْن منه عَناءً وهو بمكة، وكان ابنُه وهب بن عمير في أسارى بَدْر، قال:

فذكر أصحابَ القليب[2] ومُصابَهم، فقال صفوان:

والله إنْ في العيش بعدهم خير - يعني ما في العَيْش بعدهم خير.

فقال عمير: صدقتَ والله، أما والله، لولا دَيْنٌ علي ليس له عندي قضاء، وعيالٌ أخشى عليهم الضَيْعةَ بعدي، لركبتُ إلى محمد حتَّى أقتلَه، فإنَّ لي قِبَلَهم علَّةً، ابني أسيرٌ في أيديهم.

---

(١) الأنفال: ٣٨ .

(٢) القليب: البئر العادية، لا يعلم لها صاحب ولا حافر.

قال: فاغتَنَمها صفوانُ، وقال: عَلَيَّ دينُك، أنا أقضيه عنك، وعيالُك مع عيالي، أواسيهم ما بَقُوا، لا يَسَعُني شيءٌ ويعجز عنهم.

فقال له عُميرُ: فاكْتُم شأني وشأنَك.

قال: أفعل. ثُمَّ أَمَرَ عميرُ بسَيْفه، فَشُحِذَ[1] له وسُمَّ.

ثم انْطَلَقَ حتَّى قدم المدينة، فبينما عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نَفَر من المسلمين يتحدثون عن يوم بَدْر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أرَاهُم من عدوِّهم، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخَ على باب المسجد متوشِّحاً[2] السيف، فقال:

هذا الكلبُ عدو الله، عُمير بن وهب، والله ما جاء إلاَّ لشَرٍّ.

ثم دخل عمرُ على رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، هذا عدوُّ الله عمير ابن وَهْب قد جاء متوشحاً سيفَه.

قال: فأدخلْه عليَّ.

قال: فأقبل عمرُ حتَّى أخذ بحمَّالة سيفه في عُنُقِه، فَلَبَّبَهُ بها، وقال لرجالٍ ممَّن كانوا معه من الأنْصَار: ادخلوا على رسول الله ﷺ، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون.

ثم دخل على رسول الله ﷺ، فلمَّا رآه رسولُ الله ﷺ وعمرُ آخِذٌ بحمَّالةِ سَيفه في عُنُقِه، قال: أرسلْه يا عمر، أدنُ يا عُمير

فدنا ثُمَّ قال: إنْعَمُوا صباحاً - وكانت تحيَّةَ أهل الجاهلية -

فقال رسولُ الله ﷺ: قد أكرمَنَا الله بتحيَّة خيرٍ من تحيَّتك يا عُمير، بالسَّلام تحيَّة أهل الجنة.

---

(١) يُقال: شَحَذَ السِّكِّينَ، أي: حَدَّه.

(٢) يقال: توشَّح السيف، أي لبِسَهُ.

فقال: أما والله يا محمد، إنْ كنتُ بها لحديث عَهْد.

قال: فما جاء بك يا عُمير؟

قال: جئتُ لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا إليه.

قال: فما بالُ السَّيْفُ في عُنُقِك؟!

قال: قَبَّحها الله من سيوف، وهل أغْنَتْ عنَّا شيئاً.

قال: أصدُقني، ما الذي جئت له؟

قال: ما جئتُ إلاَّ لذلك.

قال: بل قعَدتَ أنتَ وصفوانُ بن أُميَّة في الحِجْر، فذكرتُما أصحابَ القليب من قريش، ثُمَّ قلتَ: لولا دَيْنٌ عليَّ وعيالٌ عندي لخرجْتُ حتَّى أقتلَ محمداً، فتحمَّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائلٌ بينك وبين ذلك.

قال عُمير: أشهد أنَّك رسولُ الله، قد كُنَّا - يا رسولَ الله - نُكذِّبُك بما كنت تأتينا به من خَبَر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضُره إلاَّ أنا وصفوان.

فوالله، إني لأعْلَمُ ما أتاكَ به إلاَّ الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق.

ثم شهد شهادةَ الحَقِّ، فقال رسولُ الله ﷺ:

فَقِّهُوا أخاكم في دينه، وأَقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيرَه. ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إني كنتُ جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذَى لمن كان على دين الله عز وجل وأنا أُحبُّ أن تأذن لي فَأقدمُ مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام؛ لعَلَّ الله يهديهم، وإلاَّ آذيتُهم في دينهم، كما كنت أُوذي أصحابَك في دينهم.

قال: فأذن له رسولُ الله ﷺ، فَلَحِقَ بمكة، وكان صفوان بن أُميَّة حين خرج عميرُ بن وهب يقول:

أبْشِرُوا بِوَقْعَةٍ تأتيكم الآن في أيام تُنسيكُم وَقْعَةَ بَدْر.

وكان صفوانُ يسأل عنه الرُّكْبانَ، حتَّى قَدِمَ راكبٌ فأخبره عن إسلامه، فَحَلَفَ أنْ لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بِنَفْعٍ أبداً.

فلمَّا قدم عُميرُ مكةَ، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويُؤذي مَنْ خالفه أذىً شديداً، فأسلم على يديه ناسٌ كثير.

*****

ومن جميل ما يُذكر أنَّ عُمير بن وهب - وقد رأى من دلائل النُّبُوَّة ما رأى وأسلم - كان سبباً في إسلام صفوان بن أُميَّة الذي تعاهد معه في الحِجْر على قَتْل محمد.

كان ذلك عندما فُتحت مكةُ، وكان صفوان بن أُميَّة قد خرج هارباً من جزاءٍ قد يقعُ به.

ذكر ابن إسحاق عن عروة بن الزبير قال:

خرج صفوان بن أُميَّة يريدُ جُدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب:

يا نبي الله، إنَّ صفوان بن أُميَّة سَيِّدُ قومه، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فَأَمِّنْه صلى الله عليك.

قال: هو آمن.

قال: يا رسول الله، فأعطني آيةً يَعرفُ بها أمانَك.

فأعطاه رسولُ الله ﷺ عِمامَته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عميرُ حتَّى أدركه وهو يريدُ أن يركب البحر، فقال:

يا صفوان: فداك أبي وأُمِّي، الله الله في نفسك أنْ تُهلكها، فهذا أمانٌ من رسول الله ﷺ قد جئتك به.

قال: ويحك! أغْرُبْ عَنِّي فلا تُكلِّمني.

قال: أيْ صفوان، فداكَ أبي وأُمِّي، أفْضَلُ الناس، وأبرُّ الناس، وأحْلَمُ الناس، وخير الناس، ابن عَمِّك، عِزُّه عِزُّك، وشرفُه شرفُك، وملكُه مُلْكُكْ.

قال: إني أخافه على نفسي.

قال: هو أحلم من ذلك وأكرَمْ.

فرجع معه حتَّى وقف به على رسول الله ﷺ.

فقال صفوان: إن هذا يَزعُم أنك قد أمَّنتني؟

قال: صَدَقَ.

قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين.

قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر.

ثُمَّ أَسْلَمَ صفوانُ كما أَسْلَمَ عكرمةُ بن أبي جهل بعد أنْ استَأْمَنَتْ أُمُّ حكيم رسولَ الله ﷺ لعكرمة، فأمَّنَهُ، فلحقت به باليمن فجاءت به.

كما أمَّن عميرُ بن وهب صفوانَ بن أُميَّة، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فأسلم بَعْدُ وحَسُنَ إسلامُه.

كما أَسْلَمَ عكرمة وحَسُنَ إسلامُه.. وكانت لهما - بعد إسلامهما - مواقفُ تُذْكَر في الجهاد والثَّبات وتُشكر.

شأن الأسرى في بدر:

ومن الأمور التي يجب ذكرها في فداء الأسرى في بَدْر، أنَّ الرسولَ ﷺ كان يُراعي حالَ مَنْ لا يستطيع الفداء فيعفو عنه أو يطلب منه أن يُعَلِّمَ عَشْرَةً من أولاد المسلمين القراءة والكتابة إن كان يَعْلَم ذلك.

وممَّن مَنَّ الرسولُ ﷺ في الفداء وعفا عنه «أبا عزَّةَ ابن جُمَحٍ».

كان مُحتاجا ذا بنات، فكلَّم رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد عرفت ما ليَ من مال، وإني لذُو حَاجَة وذو عيال، فَامْنُنْ.

فمَنَّ عليه ﷺ، وأخذ عليه ألا يُظَاهر - أي يعاون عليه أحداً، فقال أبو عزَّة في ذلك يمدح رسولَ الله ﷺ، ويذكر فَضْلَه في قومه:

مَنْ مُبَلِّغٌ عن الرسولُ محمدا ... بأنَّكَ حَقٌ والمليكُ حميدُ

وأنت امْرؤٌ تَدْعُو إلى الحقِّ والهُدَى ... عليك من الله العظيم شَهِيدٌ

وأنت امْرؤٌ بُوِّئْتَ فَينَا مَباءةً ... لها درجاتٌ سهلةٌ وصعودُ

فإنَّك مَنْ حاربتَه لمُحَارِبٌ ... شَقِيٌ ومَنْ سالمتَه لَسَعِيدُ

ولكن إذَا ذُكِّرتُ بَدْراً وأَهلَه ... تَأوَّبَ ما بي حسرةٌ وقُعودُ

كانت تلك معاملة الرسول ﷺ لَمَنْ لم يكن يملك فداءً.

فَعَلَ ذلك أبو عزةَ وغيرُه، وكلُّ ما أُخذ على أبي عزَّة من عهد ألاَّ يُظاهر على الرسول ﷺ أحدًا، فأَظْهَرَ الوفاءَ بذلك، وقال شعراً يمدح فيه الرسولَ ﷺ ويذكر فَضْلَه.

ومضت الأيامُ - وما أسرع ما تمضي - وجاءت أُحُدٌ، ووقع فيها ما وقع، وسار الرسولُ ﷺ والمسلمون معه حتَّى بلغوا حَمْراءَ الأسد(١).

وأقبل معبدُ بن أبي معبدالخزاعي إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فأَمَرَهُ أن يلحق بأبي سفيان فيخذِّلَه، فلحقه بالرَّوحاء(٢)، ولم يعلم بإسلامه، فقال: ما وراءك يا معبدُ؟

---

(١) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة.

(٢) الرَّوْحَاء: منازل مُزَيْنة.

فقال: محمدٌ وأصحابُه قد تحرَّقُوا عليكم، وخرجُوا في جَمْعٍ لم يخرجوا في مِثْله، وقد نَدِمَ مَنْ كان تخلَّفَ عنهم من أصحابهم.

فقال: ما تقول؟

فقال: ما أرى أنْ ترتحل حتَّى يطلع أولُ الجيش من وراء هذه الأكمة[1].

فقال أبو سفيان: والله، لقد أجمعنا الكَرَّةَ عليهم لِنَستأصلهم.

قال: فلا تفعل فإني لك ناصحٌ.

فرجعوا على أعقابهم إلى مكة، فقال الرسولُ ﷺ - وهو بحمراء الأسد - حين بلغه أنهم هَمُّوا بالرَّجْعَة:

«والذي نَفْسي بيده، لقد سُوِّمتْ لهم حجارة، لو صُبِّحوا بها لكانوا كأَمْس الذاهب»

وقَبْل رجوع الرسول ﷺ أخذ معاويةَ بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، وهو جدُّ عبدالملك بن مروان، أبُو أمِّه عائشة بنت معاوية، وأخَذ أبا عَزَّة الجُمحي، وكان رسول الله ﷺ أسرَه في بَدْر، ثُمَّ مَنَّ عليه كما مَرَّ من قبل، فقال: يا رسولَ الله، أَقِلْنِي.

فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خَدَعْتُ محمدًا مرتين» اضرب عُنُقَهُ يا زبير، فضرب عُنُقَه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المُسيب أنه قال: قال له رسول الله ﷺ: «إن المؤمن لا يُلدَغُ من جُحْرٍ مَرَّتَين»[2] وأمَرَ ﷺ بضرب عنقه.

---

(١) الأَكَمَة: الموضع الذي هو أَشدُّ ارتفاعاً ممَّا حَوْلَه. ويقال: هو ما اجتمع من الحِجارة في مكانٍ واحد.

(٢) سنن ابن ماجة - كتاب الفتن، حديث رقم ٣٩٧٢.

أما معاوية بن المغيرة - بعد حمراء الأسد - فقد لجأ إلى عثمان بن عفان، فاستَأْمَن له رَسولَ الله ﷺ، فأمَّنَهُ على أنَّه لو وُجِدَ بعد ثلاث قُتِل.

فأقام بعد ثلاث وتوارى، فبعث رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة، وعمارَ بن ياسر، وقال لهما: «إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا» فوجداه فقتلاه.

*****

رأينا ما تمَّ مع أبي عَزَّة الجُمَحِي وما لَقيَهُ بعد غَدْره وعدم وفائه، وكان الرسولُ ﷺ قد منَّ عليه، وأخذ عليه ألاَّ يُظَاهر عليه.

وها هو ذا يُقْبَضُ عليه، ويُؤخَذُ بغدره وعدم وفائه، وقد جاء مع المشركين في يوم أُحُد وما كان يَظُنُّ أنَّه يُؤخذَ بذنبه، وبخاصة بعد ما توهَّم - مع غيره - أنَّ المشركين قد انتصروا في أُحُد، وأنَّه قد أَفْلَتَ من عقَابٍ.

اذْكُرْ ذلك، واذْكُرْ ما رواه مسلم عن أبي الطُّفيل - رحمه الله - قال: حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قَالَ:

«مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبو حُسَيْل، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْش، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا. فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا منَّا عَهْدَ اللَّه وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَة وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّه ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»(١).

هكذا فعل الرسولُ ﷺ، وفَّى لهم بالعهد ولم يَغْدِر.

نعم الوفاء بالعهد، فإنَّه دلالة ثقةٍ في الله، وحُسْنِ توكُّل عليه.

*****

(١) مسلم - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٤٢.

غزوة بدر وأسباب النصر:

لقد أراد الله - بفَضْله ورحمته - أنْ يُخاطب الناسَ - على مرِّ الزمان - بما كان في غزوة بَدْر الكُبْرَى بآيات تُتْلَى.

وقد عرفنا أنَّ هذه الغزوة لم يكن العَزْمُ فيها على اللقاء، ولا أعَدَّ المسلمون عُدَّتَهم لها، ولا تأهَّبوا أُهبتهم، ولكنَّ اللهَ جمع بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعاد؛ لأمرٍ يُريدُه، فلم يكن التَّوجُّه إلى بَدْر خروج من المسلمين بإرادتهم لقتال عدوٍّ قد أعدُّوا له، ولكنه كان إخراجاً أرادَهُ الله لرسوله ﷺ.

وقد جاء بيانُه في قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾(١).

والمُخَاطَبُ هو الرسولُ ﷺ ﴿**أَخْرَجَكَ رَبُّكَ**﴾ أخرج اللهُ رسولَه من بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها؛ لأنها موضع هجرته، أخرجه من بيته إلى لقاء المشركين في بدر..

﴿**بِالْحَقِّ**﴾ الذي يُحبُّه الله ويرضاه، وقد قَدَّرَه ومضَاه، وإن كان المؤمنون لم يَخْطُر ببالهم - في ذلك الإخراج - أن يكون بينهم وبين العدو قتال، فحين تبيَّن لهم أنَّ ذلك واقعٌ، جعل فريقٌ من المؤمنين يجادلون النبيَّ ﷺ في ذلك، ويَكرهون لقاءَ عدوِّهم، كأنمَّا يُساقون إلى الموت وهم ينظرون.

﴿**يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ**﴾(٢).

لكنَّ ذلك لم يَدُم طويلاً بعد أنْ بيَّن الرسولُ لهم أنَّ الله قد وعده إحدى الطائفتين: إمَّا أن تظفروا بالعير التي خَرَجْتُم - في أوَّل الأمر - من أجلها، أو

---

(١) الأنفال: ٥.

(٢) الأنفال: ٦.

بالنفير الذي كره فريقٌ من المؤمنين أن يكون لعدم استعدادهم له ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾(١) ولكن الله أحَبَّ أن تكون ذات الشوكة.

ولما علموا ذلك سرعان ما رأيناهم - جميعاً - قد أذْعنُوا وانقادُوا للجهاد في سبيل الله، مُوقنين بوعد الله، مُتوكِّلين عليه وحده لا على شيء سواه.

فَرَأَوْا في النتائج أنَّ ما أراد الله لهم خيرٌ مما أرادوه لأنفسهم..

إنَّ ما أراده الله - سبحانه - كان نَصْراً لدينٍ يجب أن يُعرف قَدْره، وحَقٌّ يجب أنْ يُتَّبَع ولا يُتَّبَع غيره.

ما أراده الله كان نَصْراً تُعرف به سُنَنُ الله، ويُوقن مَنْ يُرضى الله أنَّ النَّصْرَ من عند الله لا من عند أحدٍ سواه.

وتلك هي الحقيقة التي يجب أن يَسُودَ العلمُ بها، فلا تغيب دلالتها عن أحد ممَّنْ يؤمن بالله ويَنْشُدُ رضَاه ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾(٢).

وهذه الحقيقة تَستوجبُ الإعدادَ والاستعدادَ.. إعداد النفوس لاستيعاب هذه الحقيقة، والاستعداد لطلب النَّصْر بالأخذ بأسبابه؛ فإنَّ ما عند الله لا يُطلَبُ إلاَّ بطاعته.

وعندما فَهِمَ المؤمنون ذلك واستوعبوه، كان استعدادُهم بفضلهم مُقَدَّماً على استعدادهم بكثرتهم؛ لأنَّهم أيْقَنُوا أنهم ما لم ينتصروا بفضلهم، لم يَغلبوا بقُوَّتهم.

وقد جاءت بَدْر الكُبْرَى في حديث القرآن الكريم بياناً لحقائقَ عمليَّة واقعة، يجب ألاَّ تغيب أبداً عن المؤمنين في أيِّ زمان أو مكان.

---

(١) الأنفال: ٧.

(٢) الأنفال: ١٠.

وفي سورة بَدْر بيان لأسباب النَّصْر، من إعداد النفوس بصفات لا يُقبَل أن تغيب صفةٌ منها، وقد يتخلفُ النَّصْرُ بتخلف سبب واحد من هذه الأسباب.

وقد اجتمعت في أهل بدراً حتَّى صاروا - بما كانوا - أُسْوةً لَمَنْ جاء بعدهم إلى أنْ يرث الله الأرض ومَن عليها.

وقد ترددت هذه الأسبابُ وتلك الصفات في سورة الأنفال مرَّات ومرَّات، مُفصَّلة ومُجْمَلة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

إنَّ سورةَ الأنفال - من أوَّلها إلى آخرها - تَحُثُّ على تحقيق هذه الأسباب، وتأمُرُ بها. وتنهى عما يُناقضها، ولا تَدَعَ سبيلاً لانتقاصها أو التفريط في شيء منها.

وهي الأصل في طَلَب النَّصْر، وبها تُغْلَبُ الكَثْرةُ، وتُنْصَرُ القِلَّةُ بإذن الله

وعلى أساسها يكون الإعداد المادي الذي أمَرَ الله به، فقال - جَلَّ شأنه -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2].

وبدُونها يَخْتَلُّ التَّوازُن، وتكون الغَلبة للقُوة كما قال عمرُ رضي الله عنه:

«فإنْ استوينا في المعصية، كان لهم الفَضْل علينا في القُوَّة، وإلاَّ ننتصر بفضلها لم نَغْلب بقُوَّتنا»

---

(١) الأنفال: ٤٥ - ٤٧.

(٢) الأنفال: ٦٠.

وفي الأسباب تحذير للمؤمنين أن يكونوا مثل أعدائهم: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[1].

لا تكونوا مثلهم؛ فإنكم - حينئذ - تفقدون مَيْزتَكم التي تستحِقون بها النَّصْر من ربكم.

لا تكونوا مثلهم في الحياة اللاهية العابثة، حياة مَنْ لا يعرف نبيًّاً، ولا يُؤمن بوَحْي أو رسالة.. حياة من لا يرجو حساباً ولا يخشى مَعَاداً؛ لأنكم إنْ صرْتُم كذلك سلَّط الله عليكمُ ذُلاً لا ينْزعه عنكم حتَّى ترجعوا - صادقين - إلى دينكم مُخلصين لربكم.

ومَنْ هَانَ على الله لم يُكْرَم عند الناس ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ**﴾[2].

فلا تكونوا مثل أعدائكم في نسيانهم الله ورغْبتهم عن دينه، وانغماسهم في عبادة المادة، وإيثارهم الحياةَ الدنيا، وغفلتهم عن الآخرة

إنَّكم - حينئذ - سَتَرَوْنَ من النتائج ما لا تَرْضَوْنَه لأنفسكم.. ستَفْتَرقُ كلمتُكم، وتتمزَّقُ صفوفُكم، وتتباين مقاصدُكم، وتُحكم شعوبكم بشرائع الأهواء، لا بشريعة الله التي هي مَصْدَرُ عزِّكم وسبيل أَمْنكُم.

وهكذا تُرينا سورةُ الأنفال - التي أُنزلَت وآياتها تُرى في واقع - تُرينا آثارَ البَطَر والرياء في ناسٍ آثروا ذلك على مَرْضَات الله، وقد نهانا أنْ نكون مثلهم، فنُؤْثر الرياءَ على صِدْق الوفاء لله.

لقد رأيتُم - معشرَ المؤمنين - ما جَرَى منهم، وما وقع لهم، وقد يكون لهؤلاء مُدَّة امتحان فيها، يُمَدُّونَ بالعطاء وزينة الحياة، فيُفْتَنُ منكم من يُفْتَنُ دون نظر إلى ما يؤُولُ الأمْرُ إليه، وأنتم تعلمون.

---

(١) الأنفال: ٤٧.

(٢) الحج: ١٨.

لأنَّ لكُلِّ شيء عاقبتَه، ولكُلِّ عمل جزاءَه، فلا يليقُ بمَنْ يُؤمنُ بالعواقب أنْ يُفْتَن بمَنْ ضَلَّ سَعْيُه في الحياة الدنيا، وأن يكون من هؤلاء الذين يُريدون الحياة الدنيا، ويقولون - راغبين - ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[١].

ونَراهُم - وقد جاءت العاقبةُ، ووقعت الواقعةُ - يقولون غيرَ ما كانوا يقولون، وهم يُفْتَتُون بزينة طارئةٍ ومَتَاعٍ ذَاهب.

إنهم يقولون - وهم يَرَوْنَ ما آل إليه أمْرُ قارونُ - ما لم يكونوا يقولون من قبل وهم يتَمَنَّوْن أنْ يكون لهم من زينة الحياة مثل ما أُوتي قارون:

﴿**وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[٢].

يقولون ذلك بعد أن رَأَوْا ما وقع به ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ**﴾[٣].

يقولون ذلك وهم الَّذينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ، فهل كانوا مبصرين عندما تَمَنَّوُا مكانَه وهم يعلمون بَطَرَه وجُحودَه وكُفْرَه؟!!

*****

إنَّ مَنْ يتدبَّرَ سورةَ الأنفال، ويَعي العِبَرَ والعظات يرى من الآيات ما يدُلُّه على مراعاة النتائج والعواقب في كُلِّ شأن، وألاَّ يستهين بذلك أو يُفْتَن بإرجاء أو إملاء.

فتلك هي عاقبة العواقب التي لا يُرجَى بعدها أَمَلٌ في رجوع يُستدرك فيه ما ضُيِّع أو فات ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٤].

---

(١) القصص: ٧٩ .
(٢) القصص: ٨٢.
(٣) القصص:٨١ .
(٤) المؤمنون: ١٠٠.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[1].

تلك آيات من سورة الأنفال، أو قُلْ سورةَ بَدْر، لم تقف بنا عند واقعة مَضَتْ وانْقَضَت، وإنما أَرَّخَتْنَا - بما وقَعَ فيها - أنَّ سُنَنَ الله لا تتبدَّل ولا تتحوَّل، ولا تجُامل ولا تُحابي..

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[2].

إنَّ من وقائع المدينة التي تُنسب إليها غزوة بَدْر، أن الرسول ﷺ أُخرج من بيته ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ أو من المدينة نفسها، فقد أُخرج منها، وعاد إليها مُؤَيَّداً مُظفَّراً مُنتَصراً، فكانت الغزوةُ - بأحداثها ونتائجها - دعوةً إلى الله، تدعو على بصيرة ومعها البرهانُ والحُجَّةُ، لا في آيات مُجرَّدة تُتلَى فحَسْب، بل بوقائع مُقترِنَة بآيات، أو بآيات يُرَى صِدْقُها، وتُبْصَر دَلالتُها في ماضٍ وحاضر ومستقبل؛ لأن الله هو الله، ولأنَّ سُنَنَه في خَلْقه ماضية واقعة لا تتبدَّل ولا تتحوَّل.

فمن جاء من المتأخرين يبغي فساداً أو بغياً أو تسلّطاً، فماذا ينظر أن يكون في عاقبةٍ أو مصير ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾.

---

(١) الأنفال: ٥٠ - ٥٤.

(٢) فاطر: ٤٣.

وقد مرَّت بعادٍ وهُم يُؤخذون بذنبهم ويُعصف بهم، أو يُنْزَعونَ بكبرهم، فماذا كان حالُهم من قبل أن يُرسل الله عليهم ريحاً صَرْصَراً في يوم نَحْس مُستَمر؟

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ﴾[1].

لذا فإننا نرى حديثَ القرآن الكريم لا يقف بنا عند ما جرى في بَدْر فحَسْب، بل يجعل ما وقع فيها وفي غيرها تبْصرَةً للمُنيبينَ، وعبرةً للمكذبين المُضلين، في كُلِّ ما يكون من أحداث مُماثلة إلى يوم الدين.

ويأتي بيانُ السُّنة المُطَهَّرَة - فيما وقع في بَدْر وفي غيرها - داعياً إلى الإيمان بالله ورسوله، مُبشِّراً ومُنْذراً

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[2].

وبذلك لا تنفَصلُ أحداثُ الحياة وشئونُها عن هداية للَّتي هي أقْوَمُ، ودعوة إلى صراط مستقيم ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[3].

*****

(١) فصلت: ١٥، ١٦.
(٢) الأنفال: ٤٢.
(٣) الشورى: ٥٣.

وقفات مع آيات:

إنَّ أحداثَ دار الإيمان لا تنفصل - أبداً - عن الكتاب والسُّنة، وما يُتنَزَّلُ من آيات في هذه الأحداث تراه أوسع دائرة وأشمل - في تبصرة الإنسان وتذكرته - من الوقوف عند حَدَث عارض في أيِّ زمان أو مكان.

وهذا يَدْعُونَا أن نقفَ وقفات عند آيات من سورة بَدْر؛ لنَرَى ما تُقَدِّمه من تَبْصرة للإنسان بحقائقَ يجبُ أنْ تُستَحْضَر دائماً ولا تَغيب.

فمن هذه الحقائق:

١- ما تضمَّنه قولُه تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(١).

إنَّ التذكيرَ بذلك له بالغُ الأثَر في تربية الإنسان؛ حتَّى لا ييأسَ مُستضْعَفٌ لقِلَّة، أو يَفْزَع في مواجهة كَثْرة.

ولا يقفُ التذكير عند ما كان من واقع في بَدْر، بل يمتَدُّ ليكون نبراساً لإيمان ودعوةً ليقين.

إنَّ الله قد يَمُنُّ على المستضعفين فيما وقع من وقائع، أو فيما يأتي بعد حين، فلا ينْفَكُ الإنسانُ - في كُلِّ شأن - عن صِدْق إيمان ويقين.

٢ - ما تضمَّنه قولُه تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾(٢).

فإنَّ الآيةَ تُذكِّر بما جرى مع رسول الله ﷺ، ولا تُذكِّرَه هو ﷺ بذلك فحَسْب، بل تُذكِّر كُلَّ مَنْ آمن به وصَدَّق برسالته.

---

(١) الأنفال: ٢٦.

(٢) الأنفال: ٣٠.

وتَذَكُّر - ضمنَ ذلك - أنَّ المكْرَ السيء لا يحيقُ إلاَّ بأهله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ وأنَّ من حَفِظَ الله حُفِظَ، ومن حفظ الله لا يُضَيَّع.

فكم كان تدبير المكر من القوم على حال لا يترك سبيلا لخلاص أو إنقاذ؟!

دارٌ محاصَرَةٌ وفيها مَنْ يُراد قَتْله، فتأتي النتائج لتُعَرِّف أن تدبير السوء تدبيرٌ على أهله، تحيق بهم عواقبُه.

وأن من آواه الله قد يُدْفَعُ عنه بنسيج عنكبوت وما أوهنه أو بريح وجنودٍ لا يبصرها العدو ولا يَرَاهَا.

واستحضار ذلك لازم للإنسان دائماً، حتَّى لا يُساق بهواه أو بهوى غيره إلى ما لا يرضاه الله.

وهو لازم لأهل الإيمان حتَّى لا يقع منهم هوان أو ركون لبطلان.

٣ - وما تضمَّنه الحديثُ عن الأسرى، وما خُوطب به الرسولُ ﷺ في شأنهم من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قد تضمَّن ما يُخاطَبُ به كُلُّ من أَسَاء، ثُمَّ رجع فأصْلَحَ وأنَابَ، وتلك حقيقة يجب أنْ يعلمها كُلُّ داعٍ إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله، ولا يقبل من أحدٍ غيره.

حقيقة تُعَلِّم المؤمنين به أنَّ هذا الدِّين - بما اشتمل عليه - فَضْلٌ من الله ورحمةٌ، فهو يفتح البابَ لَمَنْ خاصَمَه أو عاداه، أن يؤُوبَ واثقاً في عَفْو الله ورحمته وهذا ما كان على مَرِّ التاريخ.

فكَمْ من عَدُوٍّ اشتَدَّت عداوتُه له، ثُمَّ لم يَلبَثْ أنْ صار من أقرب الناس إليه!

---

(١) الأنفال: ٧٠.

وتلك تُعلِّم المؤمنين به:

أنَّ الإسلامَ ليس ضيعةً يملكونها، لا يشاركهم فيها غيرُهم، وإنمَّا هو رحمةٌ للعالمين.

وأنَّه فَضْلُ الله يُعطيه مَنْ يشاء، وأنَّ من أَبْيَن الفَضْل فيه - وكُلُّه بَيِّن - أنَّه لا يُجامل مَن اتَّبعه، ولا يُنقصُ قَدْر منْ عَاداه، بل يدعو الخَلْقَ جميعاً، ويُبَيِّنُ لهم أنَّ مكانتهم عنده تُوزَنُ بمكارم الأخلاق.

وأنَّ ساحَتَه تتَّسع لهم جميعاً إنْ هُم اتَّقَوْا - فيما بينهم - على كلمة سَواء، يَرَوْن دَلالتها في خَلْقهم ومَوْتهم وبَعثهم، وأنَّ ذلك قائمٌ فيهم جميعاً، دون تمايز أو استثناء.

وسيظل نداؤُه دائماً بهذه الحقيقة: ﴿**تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾(١).

دعوةٌ مُجرَّدَةٌ عن تمايز بجنسٍ أو لَوْن أو قبيلة أو عشيرة؛ لأن ما هو واقعٌ بهم لا يُفَرِّقُ بينهم، والأرضُ - وهي ساحةٌ لهم - يعرفون جميعاً صِدْقَ ما أُخبروا به عنها:

﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾(٢).

ومن ذلك يعرفُ الخَلْقُ جميعاً أنَّ محمداً ﷺ رحمةٌ لهم جميعاً، وأنَّ العرب إنْ قالوا: إنَّ محمداً ﷺ منهم، فللْخَلْق جميعاً أنْ يقولوا صادقين: إنَّ محمداً ﷺ لَهم، وأنَّه رحمةٌ مُهداةٌ من الله للعالمين.

٤ - وما تضمَّنه قولُ الله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾(٣).

---

(١) آل عمران: ٦٤ .
(٢) طه: ٥٥.
(٣) الأنفال: ٧٣.

يُلْزم المؤمنين، بل يفرضُ عليهم أنْ يُوالي بعضُهم بعضاً؛ لإنصاف مظلوم ولو كان من غيرهم، وأنْ يأخذوا على يد ظالمٍ ولو كان منهم.

بذلك يكونون أصحاب رسالة، وبغير ذلك تقع فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير، وتكون المسئولية عليهم لا على غيرهم؛ لأنهم لم يُوَفُّوا بما عاهدوا اللهَ، فإنَّ إيمانَهم بالله ورسوله عَهْدٌ وميثاقٌ.

والله عز وجل لم يُرَتِّب ما يقع في الأرض من فتنة وفساد كبير على موالاة أهل الكُفْر بعضهم لبعض، وإنَّما رتَّبَ ما يقع من فتنة وفساد كبير على عدم الموالاة بين المؤمنين على الحق، كما أمَرَ الله: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[1].

ويُرى ذلك فيهم قبل أنْ يُرى في غيرهم ﴿**إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾.

وهذه الحقيقة عندما تُدرك على حقيقتها، لا يمكن لأمة تُنْسَبُ إليها أنْ تُرى بعيدة عن قضايا العالم ومشاكله.

ولا يمكن أنْ تَرضَي لنفسها أنْ تكون سبباً فيما يقع في الأرض من فتنةٍ وفساد، لتقصيرها فيما يجب أنْ تكون عليه من: قوة عادلة يستجيرُ بها من يستجير، ولو كان من المشركين

وهي مُهابة في نفسها حتَّى لا تكون سبباً في التكالب عليها؛ فإنَّ من أسباب الواقع المُرِّ أنْ تكون الأُمَّةُ - التي يقوم عليها أَمْنُ الإنسانية وسلامُها - سبباً لما أصابها من ضياعِ أَمْنٍ وفُقْدانِ سِلْم، فتؤاخذ حتَّى على ما يقع عند غيرها؛ لأنها فرَّطت في رسالتها التي لا يقوم للإنسانية أَمْنٌ وسَلامٌ بغيرها.

---

(١) التوبة: ٧١.

وعند بيان هذه الحقيقة أُوَدُّ ألا يقع خَلْطٌ بين واقع المسلمين وبين الإسلام، فلا يُلام الإسلام بتفريط أهله، فإنَّ الإسلامَ لا يُجامِلُ المسلمين كما لا يُجامل غيرَهم، ولا يخضع لأمانيهم، كما لا يخضع لأماني غيرهم.

إنَّه العدل الذي لا يُقبل - في ساحته - أن يُعفَى ظالمٌ من حسابٍ لقُربه، أو يُترك مظلومٌ دون إنصافٍ لبُعْده.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1].

وتلك كلمة الرسول ﷺ تُدَوِّي في أُفق السماء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: «وأَيْمُ الله، لو أنَّ فَاطِمةَ بنتَ محمد سَرقت لَقَطَعَ محمدٌ يدَها»[2].

فما يقع من المسلمين مخالفاً لدينهم، يجب أنْ يُحاكمهم العالَمُ بدينهم، لا بشيء سُواه، فلنْ يجد العالَمُ كُلُّه ما يريده منهم - من عدل، وبرٍّ، وإحسان، ووفاء، وصِدْق - إلاَّ بميزان دينهم.

وعلى المسلمين - أيضاً - أنْ يُدركوا أنَّ عقابَهم عند الله سيكونُ مُضاعفاً عندما يراهم العالَمُ على غير ما يدعو إليه دينُهم.

سيكون العقابُ بين يدي الله عقابَيْن:

عقابٌ لهم؛ لأنَّهم لم يحملوا الدِّين كما ينبغي أن يكون، بل حُمِلوا عليه

وعقابٌ لهم؛ لأنهم - بتفريطهم - أَغْرُوا النَّاس بالفتنة عنه، إذْ ظنُّوه قائماً في حياة أهله، فأعرضوا عنه وهم في أشدِّ الحاجة إليه.

﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[3].

---

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) البخاري - كتاب الحدود، حديث رقم ٦٢٩٠.

(٣) الأنفال: ٧٣.

هذه الحقيقة أقولُها إنصافاً لهذا الدين الذي ظُلِمَ من أهله قبل أن يُظلم من غيرهم.

وهو مِنْ ظُلْم هؤلاء وظُلْم أهله بريءٌ.

إنَّه الحقُّ الذي أرسل الله به الرسلَ جميعاً، فمَنْ أعرضَ عنه أو صَدَّ عن سبيله، لقي ما يلْقَاه المعرضون عن الحق أو الذين يصدون عنه.

*****

obeikandl.com